القِيَمُ في الشعر الجاهلي ضابطاً اجتماعياً
(قيمة الثأر أنموذجاً)

أ .د.توفيق ابراهيم صالح
جامعة كركوك – كلية التربية للعلوم الانسانية

الملخص

هدف البحث في دراسته لقيمة الثأر في الشعر الجاهلي الى الكشف عن ادواره الاجتماعية الضبطيّة التي كانت بمثابة قوانين وأعراف وقيم عبّرت عن تاريخ وتراث المجتمع الجاهلي الثقافي ونظمه الاجتماعية المختلفة التي خضع لها الجاهلي وانطلق على وفق مقاصدها وموجهاتها يعالج قضاياه ، ومنها قضية الثأر الذي اعتقد بوجوب ادراكه ؛ لأنّه كان سمة من سمات الرجولة ، واسترداداً لحقوق مستلبة ، وردَّ اعتبار لكرامة أهينت ، وحفاظاً على قيم عظمَّمها ، ودافع عنها .

وقد كشف البحث كذلك أنَّ قيمة الثأر كانت عبئاً كبيراً على كاهل الجاهليّ الذي لجأ الى تسليط وسائل الضغط النفسي والاجتماعي على نفسه مثل تحريم المرأة والخمرة على نفسه ، وهذا التحريم يعدّ نوعاً من الاغتراب الذي يعجّل في طلب الثأر من أجل العودة الى ممارسة الحياة بشكل طبيعي ، بعد أنْ يعيد توازنه النفسي جرّاء فقده القتيل الذي كان قريباً الى نفسه .

نظرة الجاهلي الى الثأر :

ما يلفت انتباه المتلقي الحاذق ايمان الجاهلي بقدرية الثأر الذي قسم القتل على الجميع بعدالة قبلها دون مناهضة او تبرم لأنّه القدر الذي كان نصيبه من قسمة الحياة التي تفاعل معها بحيوية مفعمة بالأمل الذي صنعه على وفق رؤيته بما يُؤمّن قدرته على ممارسة الحياة والتواصل مع الآخر توافقاً او تقاطعاً تلك الممارسة التي افتخر بها ؛لأنّها كانت تعبيراً عن إرادته في الحياة ، وقدرته على التكيف ، وعلى كسر قيود القسوة المفروضة عليه من الطبيعة وانسانها ، بيد أنّ تلك الممارسة كانت مقيّدة بقيود اجتماعية صارمة تفرض عليه طبيعة تلك الممارسة وشكلها بما يتلاءم وطبيعة تلك الحياة التي عاش في اطار قوانينها واعرافها وتقاليدها ، وقيمها التي لا يعدو الأصل فيها (أنْ يكون تاريخ

الجماعة وتراثها الثقافي، ونظمها الإجتماعية المختلفة) (١) ، وهذه القيود هي ما اصطلح علماء الإجتماع على تسميتها بالضوابط الإجتماعية .

وقد خضع الجاهلي لهذه القيود وانطلق على وفق مراميها ومقاصدها وموجهاتها يعالج قضاياه الإجتماعية والفكرية ، ومنها مسألة الثأر الذي اعتقد بقدريته ، – القدرية التي تنبئ بالرضوخ وعدم الرفض له – وتقسيمه الدهر شطرين قسمة بينه وبين عدوه ، فهو إما واتر أو موتور ، أو بين واتر وموتور ، وكلاهما يولد التوتر والقلق وعدم الإستقرار ، وربما يتبع ذلك الندم الذي يعصر النفوس ألماً ، ويلفها بسواد الحزن ، وإذا أردنا أن يخبرنا الجاهلي بصحة ما نقول ، فإنّنا نجد مصداقيته في فخر دريد بن الصمة الثأري الذي قسم الدهر بينه وبين عدوه قسمين فهو بين واتر وموتور ؛ كما حكم العرف ، وأقرت التقاليد، وأوجب الضبط الإجتماعي ، وهو راض بهذه القسمة ، بل إنّه عدّ القتل الثأريَّ مفخرة للجميع فأنصف بذلك نفسه وعدوه ، وإنْ كنّا نشعر بمرارة الألم التي يحسّها ، ويحاول إخفاءها ، بقوله :(٢)

أَبَى القَتْلُ إلّا آلَ صِمَّةَ إنَّهُمْ   أَبَوا غَيْرَهُ والقَدْرُ يَجْري إلى القَدْرِ
فَإمَّا تَرَيْنَا لا تَزَالُ دِمَاؤُنا   لَدَى وَاتِرٍ يَسْعَى بها آخِرَ الدَّهرِ
فَإنَّا لَلَحْمُ السَّيْفِ غَيْرَ نَكِيْرَةٍ   وَنَلْحَمُهُ حِيْنَاً وَلَيْسَ بِذِي نُكَرِ
يُغَارُ عَلَيْنَا وَاتِرِيْنَ فَيُشْتَفَى   بِنَا إنْ أُصِبْنَا أو نُغِيْرُ عَلَى وِتْرِ
بِذَاكَ قَسَمْنَا الدَّهرَ شَطْرَيْنِ قِسْمَةً   فَمَا يَنْقَضِي إلّا وَنَحْنُ عَلَى شَطْرِ

لقد اعتقد الجاهلي بأنَّ نيل الثأر وإدراكه هو سمة من سمات الرجولة ، التي مكّنت الجاهلي من الفخر والتباهي عند نيله ذحله وتبله من واتره ،وبهذا تغنّى محمّد ابن حُمْران ابن أبي حُمْران الجُعْفي قائلاً : (٣)

... ...
فَنِلْتُ بِهِ ثَأرِي وأدْرَكْتُ ثُؤْرَتِي   إذا مَا تَنَاسَى ذَحْلَهُ كُلُّ عَيْهَبِ

ومن هنا ندرك (أنَّ الوظيفة الأولى للعقاب هي حماية الوجدان الجماعي ... وتشديد تأكيده في مواجهة أفعال تشكك بقدسيته) (٤) ، لذا اعتقد الجاهلي أنّ تركه ثأره هو سمة من سمات الضعف والخور والعجز الذي يفقده صفة الرجولة وبهذا الإعتقاد خاطبت الخنساء

بني سُليم وعامراً وأحياء هوازن محرضة بأسلوب تهكّميّ بأنَّهم الى شيم النساء أقرب في عدم القدرة على المواجهة ، وما سلّهم سيوفهم إلّا خوفاً على أنفسهم؛ فتكون هزيمتهم ساعتئذ مؤكّدة ، قائلة : (٥)

ألا أبْلِغَا عَنِّي سُلَيْمَاً وعَامِرَاً   وَمَنْ كَانَ مِنْ حَيَّيْ هَوَازِنَ شَاهِدا
بِأنَّ بَنِي ذُبْيَانَ قَد عَرَفُوا لَكُمْ   إذا ما تلاقيتُمْ بأنْ لا تَعَاوُدا
فَلا تَقْرَبُنَّ الأَرْضَ إلّا مُسَافِرَا   يَخَافُ خَمِيْساً مَطْلِعَ الشَّمْسِ حَارِدا

وهذا الإعتقاد وافق العرف الإجتماعي الذي كان صورة من صور الضبط الإجتماعية التي توجب على الجاهلي الإلتزام بقيمة الثأر ، وكان خليقاً بهذا الإلتزام الذي بلور صوره في سلوك عرف عنه ، فقد روي عن أبي جُنْدَب بن مرّة القِرِدي أنّه (اشتكى ، وكان له جار من خزاعة يقال له حاطم، فوقعت به بنو لحيان فقتلوه قبل أنْ يَسْتَبِلَّ أبو جُنْدب من شكاته ، وأخذوا ماله وقتلوا امرأته ، فلما برأ أبو جندب خرج حتى قدم مكة ، فاستلم الرُّكْنَ ، وقد شقَّ عن استه ، فطاف فَعَرَفَ الناسُ أنّه يريد شرّاً ، فقال أبو جندب :

((إنِّي امْرؤٌ أبكِي على جَارَيَّهْ   أبْكِي على الكَعْبِيِّ والكَعْبِيَّهْ
وَلَوْ هَلَكْتُ بَكَيَا عليَّهْ   كَانَا مَكانَ الثَّوب من حِقْوَيَّهْ) (٦)

وجاء في أمثال العرب : (وكان من حديث بيهس أنّه كان رجلاً من بني غراب بن فزارة بن ذبيان بن بغيض ، وكان سابع إخوة ، فأغار عليهم ناس من أشجع وبينهم حرب ، وهم في إبلهم ، فقتلوا ستة وبقي بيهس ... ثمّ أتى على ذلك ما شاء الله ، ثمّ إنّه مرّعلى نسوة من قومه يصلحن امرأة منهن يردن أنْ يهدينها لبعض القوم الين قتلوا إخوته ؛ فكشف ثوبه عن استه ، وغطى به رأسه ، فقلن : ويحك أيّ شيء تصنع ؟ فقال :

إلْبَسْ لكلِّ حَالَةٍ لَبُوسَهَا   إمَّا نَعِيْمَهَا وإمَّا بُوسَهَا
فأرسلها مثلاً) (٧).

لقد نظر الجاهليّ الى الثأر على أنّه استرداد لحقوق مستلبة ، ووسيلة لعودة الموتور الى الحياة بموجب الضوابط الإجتماعية التي جعلته يُحَرِّمُ على نفسه الإقتراب من المرأة ، و يُحَرِّمُ على نفسه شرب الخمرة ،والإغتسال والتطيب ، ومثل هذه الأسباب وغيرها

من محفزات الثأر الضبطية – التي عدّت على وفق الرؤية الإجتماعية محكات لرجولة الموتور وشجاعته،ووسائل حفاظ على مكانته الإجتماعية – ؛ جعلت عامر بن الطفيل يشعر بوطأة الإحساس بالهموم التي تعتريه وبالمرارة التي كانت غصة في حلقه وهو يطلب ثأره ، ولاسيما أنَّ مَنْ يريد قتلهم ثأراً هم قوم أعزّة لايستحقون القتل لكن القيم بضوابطها تفرض ذلك ، قال عامر : (٨)

تَقُولُ ابْنَةُ العَمْري مَالَكَ بَعْدَمَا   أراكَ صَحَيْحَاً كالسَّليمِ المُعَذّبِ
فَقُلْتُ لَهَا : هَمّي الّذي تَعْلَمِيْنَهُ   مِنَ الثَّأرِ في حَيَّيْ زُبَيْدٍ وَأرْحَبِ
إنْ أغْزُ زُبَيْدَاً أغْزُ قَوْمَاً أعِزَّةً   مُرَكَّبُهُمْ في الحَيِّ خَيْرُ مُرَكَّبِ
وإنْ أغْزُ حَيَّيْ خَثْعَمٍ فَدِمَاؤُهُمْ   شِفَاءٌ وَخَيْرُ الثَّأرِ لِلْمُتَأوِبِ

وفي حنظلة أخيه ، قال: (٩)

فَلأثْأرَنْ بِمَالِكٍ وبِمَالِكٍ   وأخِي المَرُوَراةِ الذي لَمْ يُوَسدِ
وَقَتِيْلَ مُرَّةَ أَثْأرَنّ فَإنّـهُ   فَرْع وإنَّ أخاكُمُ لَمْ يُقْصَدِ
ياأسْمَ أُخْتَ بَنِيْ فَزَارَةَ إنَّنِي   غَازٍ وَإنَّ المَرْءَ غَيْرُ مُخَلَّدِ
فِيْئِيْ إلَيْكِ فَلا هَوادَةَ بَيْنَنَا   بَعْدَ الفَوَارِسِ إذْ ثُوَوْا بالمَرْصَدِ
إلّا بِكُلِّ أحَمَّ نَهْدٍ سَابِحٍ   وَعُلَالَةٍ مِنْ كُلِّ أسْمَرَ مِذْوَدِ

ومن هنا لم يكن الثأر قضية قتل مجردة ، واستعادة لحقوق مستلبة ، بل كان ردَّ اعتبارٍ لكرامة أُهِيْنَتْ ، وحفاظاً على قيم ومُثُلٍ عُظِّمَتْ ، وردْعاً لِمَنْ تُوَسْوِسُ له نفسه بالتجاوز على محرمات قُدِّسَتْ ، مثلما كان الباعث على الثأر كذلك هو إحساس الموتور بالتقصير تجاه القتيل ، وعجزه عن حمايته ، والدفاع عنه ،فالثأر إذن كان (بمثابة محاولة لرأب الصدع الذي أصاب تلك النفوس بسبب الحادث) (١٠) بمثل هذا الإحساس والتصور الإجتماعي الضابط حاورت الخنساء قومها بني سُليم وهي تؤنبهم وتحرضهم على الأخذ بثأر أخيها صخر ، وقد عدَّت (الموتور إذا لم يثأر من أعدائه نجساً ، وإنّما يَطْهُرُ بالثأر، ومن أجل ذلك كانوا لايغسلون أجسادهم حتّى يأخذوا بثأرهم) (١١) ، قائلة: (١٢)

كَانَ ابْنُ عَمِّكُمُ مِنْكُمُ وضَيْفُكُمُ   فِيْكُمْ فَلَمْ تَدْفَعُوْا عَنْهُ بِإخْفَارِ
لَوْ مِنْكُمُ كَانَ فِيْنَا لَمْ يُنَلْ أبَدَاً   حَتّى تَلَاقَى أُمُورٌ ذاتُ آثَارِ
أعْنِـي الّذيْنَ إلَيْهِمْ كَانَ مَنْزِلُهُ   هَلْ تَعْلَمُونَ ذِمَامَ الضَّيْفِ والجَارِ
لانَوْمَ حَتّى تَعُودَ الخَيْلُ عَابِسَةً   يَنْبِذْنَ طَرْحاً بِمُهْراتٍ وأمْهَارِ
أو تَحْفِزُوا حَفْزَةً والمَوْتُ مُكْتَنِعٌ   عِنْدَ الْبُيُوْتِ حُصَيْنَاً وابْنَ سَيَّارِ
فَتَغْسِلُوا عَنْكُمُ عَاراً تَجَلَّلَكُمْ   غَسْلَ العَوَارِكِ حَيْضاً بَعْدَ أطْهَارِ

وقد أصاب أحد الدارسين حين وصف الخنساء بأنَّها (طاقة تحريضية جبارة) (١٣) ، وهو يعلق على البيت الأخير قائلاً : (ولعل البيت الأخير هو أعظم بيت استنفاريّ مفعم بالطاقة الإستفزازية . وربّما كان للمضمون الجنسي الذي تحتقبه صورة الشطر الثاني أهمية معينة من حيث الإستنفارية ، إذ هو يصور الجنسية وقد أقيم دونها حاجز الحيض الذي يحتاج الى غسل لتعود الأمور الى سابق عهدها) (١٤) .

لقد كان إدراك الثأر وسيلة دفاعية يمارسها الموتور في سبيل دفع تهمة وصفه بالضعف والخور ، واتقاء لسهام الإنتقاد التي يوجهها اليه المجتمع حسب قيمه الإجتماعية الضابطة لسلوكه ، التي لم يكن قادراً على ردِّها ؛ لأنَّ الموتور هو الآخر محكوم بهذه الضوابط ، ولعلّ قساوة الإنتقاد تكمن في سلب الموتور أهمّ ميزة كان الجاهليّ فخوراً بها ألا وهي الرجولة ، وقد جسَّد الجاهليّ فكرة السّلب هذه في دعوته الموتور الى أنْ يكون امرأة تتفرغ لشواغلها التجميلية حيث الخَلُوق والكحل ، بعد أنْ يبيع الردينيات (الرماح) بالحُليّ ، ويشتري المغازل بالنبل إذا لم يثأر للقتيل ، كما في توثيب وتحريض عبدالرحمن بن دارة الفزاري : (١٥)

يا راكِباً إمَّا عَرَضْتَ فَبَلِّغَنْ   مُغَلْغَلَةً عَنِّـي القَبَائِلَ مِنْ عُكْلِ
لَئِنْ أنْتُمُ لَمْ تَثْأرُوا بأخِيْكُمُ   فَكوُنُوا نِسَاءً لِلْخَلُوق وَلِلْكُحْلِ
وَبِيْعُوا الرُّدَيْنِيَّاتِ بالحُلَى واقعُدُوا   عَنِ الحَرْبِ وابْتَاعُوا المغَازِلَ بالنَّبْلِ

وإمعاناً من المجتمع في تجسيد فكرة العار والذل والصغار التي تلحق بمن يتقاعس عن أخذ الثأر أُضْفِيَ على الموتور صفات نسوية بغيضة ، كان يأنفها العربي ومالايزال حتى يومنا هذا ، كما فعل عَطَّافُ بْنُ وَبْرَة العُذري في خطابه لقومه بني عُذْرة وهو يحثهم على الثأر ، قائلاً : (١٦)

أَعُذْرَ بْنَ سَعْدٍ لايَزَالُ عَلَيْكُمُ بِيَومِ ابْنِ حُرْجٍ مِنْ فَزَارَةَ فَاخِرُ
فَإِنْ أَنْتُمُ لَمْ تَثْأَرُوا بأَخِيْكُمُ فَكُوْنُوا إِمَاءً تَبْتَغِيْ مَنْ تُؤَاجِرُ
... ...
وَلَاتَغْضَبُوا مِمَّا أَقُولُ فَإِنَّمَا أَنِفْتُ لَكمْ مِمَّا تَقُولُ المَعَاشِرُ

وقد يلجأ المجتمع الى وسيلة أكثر قسوة في تضييق الخناق على الموتور لدفعه الى إدراك تبله حين يذكره بمن قُتِلَ ، ويذكره بالعار الذي لحقه والذي لايمحى حتى يدرك بثأره،ومن ذلك قول الزّبّان بن مُجالد البكريّ في التحريض على الثأر: (١٧)

أَنَسِيْتُمْ قَتْلَى كَثِيْفٍ وَأَنْتُمْ بِبِلادٍ بِهَا تَكُونُ الْعِشَارُ
سِتَّةٌ قُتِّلُوا بِغَيْرِ قَتِيْلٍ فَلَكَ الذّلُّ بَعْدَهُمْ والصَغَارُ
قَبْلَ أنْ يُثْأَرَ الْقَتِيْلُ بِقَتْلَى بَعْدَ قَتْلَى وَتُنْقَضَ الْأَوْتَارُ

وحين يشبهه ويساويه بأدنى الطيور ضعفاً ألا وهي العصافير تعبيراً عن العجز والذل ، وهذا الأمر يعزز دور قيمة الثأر ضاغطاً وضابطاً اجتماعياً بوصفه مؤثراً خارجيًاً أكثر من كونه ضاغطاً داخلياً يتملك الجاهلي للإنتقام ، وهذا ما جعله يدرك أنه محكوم بـ (معايير اجتماعية لها التأثير البالغ في الرفع من شأن الفرد أو الجماعة حين يجيد تطبيق تلك القيمة ، وتنزل عليه ألسنة الشعراء باللوم والعقاب أو الهجاء، ولاينطبق ذلك على الفرد فحسب ، بل يتعداه الى الجماعة أو القبيلة) (١٨) حين لايجيد تطبيق تلك القيمة ، ويبدو هذا واضحاً في قول زُفر بن الحارث العامري ،وهو يوثب قيس عيلان على الثأر : (١٩)

يا قَيْسَ عَيْلانَ قَيْسَ الذُّلِّ إنَّكُمُ في الْحَرْبِ سَيَّانِ : أنْتُمْ والْعَصَافِيْرُ
هَلّا ثَأَرْتُمْ وَأَنْتُمْ مَعْشَرٌ أُنُفٌ قَتْلَى بِتَدْمُرَ جَافَتْهَا الْخَنَازِيْرُ

إنَّ ما مرَّ من التوثيب والتحريض مع توظيف عوامل الضغط الإجتماعي بما حملت من تهكم وسخرية وازدراء تمثل في الواقع وفي الفكر الإجتماعيين نوعاً من الحكم بالعجز وعدم القدرة على الثأر ، وهذا الحكم يعدّه علماء الإجتماع ضابطاً سلوكياً ، فهم يرون : (إنَّ حكم الآخرين – سواء كان صادراً من أسوياء أو منحرفين أو مجرمين أو رجال قانون – يمثل ضابطاً لسلوك الفرد المرتبط بهم) (٢٠) .

إنَّ قيمة الثأر اجتماعية ترتبط بحياة الجاهلي ومكانته في محيطه ؛ لذا كان الثأر لازمة حياتية لايمكن للموتور الإستغناء عنها من أجل الحفاظ على مكانته واستعادة حياته الطبيعية بعيداً عن مضايقة المجتمع له حسب قيمه – التي هي (عبارة عن تنظيمات معقدة لأحكام عقلية انفعالية معممة نحو الأشخاص أو الأشياء أو المعاني ...) – (٢١) ، وقد رسم الجاهليّ صورة الموتور هذه ، فهو محترق القلب ، وقدت في صدره نار الثأر ، مّما قاله عنترة : (٢٢)

يَا قَيْسُ إنَّ صُدُورَنَا وَقَدَتْ بِهَا نَارٌ بِأَضْلُعِنَا تَشُبُّ وَقُودَهَا
فَانْهَضْ لِأَخْذِ الثَّأرِ غَيْرَ مُقَصِّرٍ حَتَّى تُبِيْدَ مِنَ العِداةَ عَدِيْدَهَا

وهذا ما جعله يعاني الألم النفسي، إذ تتعاوره الهموم ، ويؤرقه السّهر، كأنّه لديغ أفاعٍ ، تتحرق نفسه رغبة لإدراك ثأره ، وربّما اضطر الى الغربة لتحقيق هذه الرغبة ، كما هو حال الأخنس بن شهاب التّغلبيّ الذي وصف معاناته وغربته في سبيل إدراك ثأره ، قائلاً: (٢٣)

لَعَمْرِي لَقَدْ جَاوَرْتُ في حيِّ عَامِرٍ لِأُدْرِكَ ثَأْرِي مِنْهُمُ حِجتَجاً خَمْسَا
أَبِيْتُ إذا نَامَ الخَلِيُّ كَأَنَّنِي سَلِيْمُ أَفَاعٍ لا يُلاقِيْ لَهُ أُنْسَا

ومع هذا الإحساس كان الجاهليّ متوثّباً لإدراك ثأره كما وصفته مَيَّة بنت ضِرار الضَّبيِّة وهي ترسم صورة لأخيها في حالة وتره في معرض رثائها له ، قائلة : (٢٤)

مَا بَاتَ مِنْ لَيْلَةٍ مُذْ شَدَّ مِئْزَرَهُ   قُبَيْصَةُ بْنُ ضِرارٍ وَهْوَمَوْتُوْرُ

وما هو لافت للنظر أنَّ هموم الموتور ترتبط بمكانة المقتول ، فكلما عظمت ؛كان الموتور أكثر هموماً ؛ حتى تمنعه من النوم ، حينما ينام خليّ البال ، وفي مثل ذلك قال أبو حَرَجَة الفزاريّ : (٢٥)

ألا أَيُّهَا النَّاهِي فَزَارَةَ بَعْدَمَا   أَجَدتْ لِغَزْوٍ إنَّمَا أَنْتَ حَالِمُ
أرَى كُلَّ ذِي تَبْلٍ كَرِيْمٍ يُهِمُّهُ   وَيَمْنَعُ مِنْهُ النَّوْمَ إذْ أَنْتَ نَائِمُ

إنَّ قيمة الثأر يمكن عدّها من (القيم الإلزامية ، وهي القيم ذات القدسية التي تلزم الثقافةُ بها أفرادَها ، ويرعى المجتمع تنفيذها بقوة وحزم سواء عن طريق العرف وقوة الرأي ...) (٢٦) ؛ لذلك كانت قيمة الثّأر ضابطاً صارماً لايأخذ بنظر الاعتبار أيّ نوع للصّلة بين الواتر والموتور ، فهو لايدع مجالاً للعفو من الموتور ؛ لأنَّ ذلك يحمله تبعات اجتماعية تعدّ مُذِلَّة له ، وقد بلغ الإحساس بهذه التبعات أن طَرَدَتْ أختُ كُليب جليلةَ زوجته أختَ جساس قاتل كليب من المأتم ، حين قالتْ نساءُ الحيِّ لها : ((رَحِّلي جليلةَ عن مأتمك ، فإنّ قيامها فيه شماتة وعار علينا عند العرب ؛ فقالت لها : ياهذه أخرجي من مأتمنا ، فأنت أخت واترنا ، وشقيقة قاتلنا ...)) (٢٧) ، فقالت جليلة في ذلك : (٢٨)

يابْنَةَ الأقْوَامِ إنْ لُمْتِ فَلا   تَعْجَلِي باللَّوْمِ حَتَّى تَسْأَلِي
فَإذَا أَنْتِ تَبيَّنْتِ الَّتِي   عِنْدَهَا اللَّوْمُ فَلُومِي واعْذِلِي
إنْ تَكُنْ أُخْتُ امْرِئٍ لِيْمَتْ عَلَى   جَزَعٍ مِنْهَا عَلَيْهِ فَافْعَلِي

فإذا كان وجود أخت الواتر وهي زوج الموتور وقريبته نسباً في المأتم عاراً على أهل الموتور ، فكيف بترك الواتر حرّاً من دون عقاب وإنْ كان ذا نسب قريب؟! ، وهذا الضابط قد آلَمَ الجاهليّ كثيراً فراح يشكو ظلمه وقساوته ، ولعلّ جليلة خير مَنْ عبّر عن ذلك حين قالت : (٢٩)

خَصَّنِي قَتْلُ كُلَيْبٍ بِلَظىً   مِنْ وَرَائِي وَلَظَىً مُسْتَقْبِلِي
لَيْسَ مَنْ يَبْكِي لِيَوْمَيْهِ كَمَنْ   إنَّمَا يَبْكِيْ لِيَوْمٍ بَجَلِ
دَرَكُ الثَّائرِ شَافِيْهِ وَفِـيْ   دَرَكِيْ ثأرِيَ ثُكْلُ الْمُثْكِلِ
... ...
إنَّنِيْ قَاتِلَةٌ مَقْتُوْلَـةٌ   وَلَعَلَّ الله أنْ يَرْتَاحَ لِيْ

ومن هنا يمكن القول : إنَّ (نسق القيم هو الذي يتولى تحديد غايات فعل الفاعل ومعاييره الكائنة بالموقف الإجتماعي ، والتي تشتق من نسق القيم والتي لها دور لابدَّ من مراعاته أثناء عملية إنجاز الفعل في المواقف الإجتماعية) (٣٠) كما يرى بارسونز .

إنَّ الثأر ضابط اجتماعيّ على غاية من التعقيد فهو يحرّم اللجوء الى الوسائل السّلمية ، ويحمل الموتور اعباءً اجتماعية قاسية في حال ترك الثأر ؛ وهذا ما دعا الجاهلي الى الإمتثال لشعيرة الثأر التي أصبحت بمثابة القانون الملزم له ، ودفعه في سبيل دَرَكِهِ الى الغربة إيماناً منه بـ (أنَّ الموت هو ضربة القدر لمن لا يستطيع الوفاء بواجب الحياة) (٣١) كما في غربة الأخنس بن شهاب التغلبيّ وهو يصف حاله موتوراً يصارع همومه وغربته من أجل ادراك ذحله(٣٢) . وهذا ما يكشف لنا سرَّ ابتهاج الجاهليّ ، وارتياحه النفسيّ عندما يظفر بثأره ، وقد عبر عن مثل هذا الإرتياح العباس بن مرداس السُّلميّ حين مدح أبا حليس الذي قتل قاتل أخيه هريم بن مرداس السُّلمي و كان هريم في جواره ، وما هذا المديح إلا مكافأة اعتبارية من العباس لأبي حليس ؛ لأنّه التزم بالضوابط الإجتماعية التي تفرض عليه الثأر لجاره ، بقوله : (٣٣)

أَتَانِيْ مِنَ الْأَنْبَاءِ أَنَّ ابْنَ مَالِكٍ   كَفَى ثَائِراً مِنْ قَوْمِهِ مَنْ تَغَبَّبَا
وَيَلْقَاكَ مَا بَيْنَ الْخَمِيْسِ خُوَيْلِدٌ   أَرَى عَجَباً بَلْ قَتْلُهُ كَانَ أَعْجَبَا
فِدىً لَكَ أُمِّي إذْ ظَفِرْتَ بِقَتْلِهِ   وَأقْسِمُ أَبْغِيْ عَنْكَ اُمَّاً وَلا أَبَا

الثأر وممارسة الحياة :

لقد كان (للثأر ممارسات سحرية وعقائدية تتصل بالتحريم : حُرْمة النساء ، وحرمة الإغتسال والتطيب ، وحرمة الخمر) (٣٤) – ، وهذه العناصر كما يراها أدونيس تمثل : (العيد الأول في حياة العربي ... عيد الجسد حيث تتوحد الشهوة واللذة والنشوة) (٣٥) – وهذا التحريم يمثل ضابطاً اجتماعياً ولَّدَ في نفسه إحساساً باليأس من الحياة في حال عدم إدراكه لثأره ، بل عدَّ نفسه مَيْتَاً من شدَّة جزعه من هول مصابه ، فدفعه احساسه هذا الى ترك لهو الحياة ولعبها حتى ينال ثأره ، مع الرغبة في إذاقة عدوّه الإحساس ذاته ، الإحساس بالفقد واليأس والجزع ، ... وقد عبَّر عن هذا الإحساس مالك بن عمرو العامليّ حين قال : (٣٦)

يَاراكِباً بَلِّغَنْ وَلا تَدَعَنْ   بَنِي قُمَيْرٍ وَإنْ هُمْ جَزِعُوا
فَلْيَجِدُوا مِثْلَ مَا وَجَدْتُ فَإنـْ   نِيْ كُنْتُ مَيْتاً قَدْ مَسَّنِي جَزَعُ
لاأسْمَعُ اللَّهْوَ في الحَدِيْثِ وَلا   يَنْفَعُنِي فِـي الْفِراشِ مُضْطَجَعُ

ولعلَّ أهمَّ مُتَع الحياة الى قلب الجاهليِّ كانت المرأة ، وقد حرَّمها على نفسه حتى يدرك ثأره ، وهذا التحريم وسيلة من وسائل الضغط النفسي والإجتماعي يسلطه الموتور على نفسه بغية الإسراع في طلب الثأر ؛ من أجل العودة الطبيعية الى ممارسة الحياة ، بعد التخلص من المؤثرات الاجتماعية المنتقصة لكرامته وأنفته ، فهذا تأبَّط شرّاً يحرِّمُ على نفسه النساء ، ويبذل حياته من أجل إدراك ثأره من بني عُتَيْر قتلة أخيه عمرو بن جابر بن سفيان ، قائلاً : (٣٧)

وَحَرَّمْتُ النِّسَاءَ وَإنْ أُحِلَّتْ   بِشَوْرٍ أَوْ بِمَزْجٍ أَوْ لِصَابِ
حَيَاتِي أوْ أَزُوْرَ بَنِيْ عُتَيْرٍ   وَكَاهِلَهَا بِجَمْعٍ ذِيْ ضَبَابِ

وقد حاول الجاهليّ أنْ يرسم صورة معاناته جرَّاء ابتعاده عن المرأة بوصفها كائناً أثيرياً عنده ، يصعب عليه أنْ يمتنع عن تلبية رغبتها الغريزية ، ولكن الخطب عنده جلل ، إنَّه دَرَكُ التّبْل ، الذي جعله يعيش صراعاً حاداً بين ضابط الثأر الإجتماعيّ وبين الرغبة في ممارسة الحياة بملذاتها ومتعها ، وقد انتهى هذا الصراع بالإمتثال الى الضابط الثأري

، والمضي في أخذ الثأر ، وقد صور مثل هذا الصراع الربيع ابن زياد العبسي حين سأل قائلاً : (٣٨)

أَفَبَعْدَ مَقْتَلِ مَالِكِ بْنِ زُهَيْرٍ   تَرْجُو النِّسَاءُ عَوَاقِبَ الْأَطْهَارِ
مَا إنْ أرَى في قَتْلِهِ لِذَوِي الحِجَا   إلَّا الْمَطيَّ تُشَدُّ بالأكْوَارِ

ولعلَّ المتفحص لشعر الربيع يشعر برغبته في ممارسة حياة أسرية عكسها من خلال رجاء المرأة في ذلك ؛ بيد أنَّنا نحسُّ تأصل فكرة الثأر في نفس وعقليّة الجاهلي حينما نجده يستبعد فكرة الصراع مع المرأة ، – كما هو الحال عند الصعاليك – و يستبعدها من حياته ، إيماناً منه بوجوب الثأر من دون تردد أو نكوص ، وبدا مثل هذا واضحاً في رثاء العباس بن مرداس السُّلَميّ لأخيه عمارة بن مرداس : (٣٩)

أَبَعْدَ عُمَارَ الْخَيْرِ نَرْجُو سَلامَةً   وَقَدْ بَتَكتَتْ آرابُهُ وَمَفاصِلُهْ
فَلا وَضَعَتْ عِنْدِي حَصَانٌ خِمَارَهَا   وَلَا ظَفِرَتْ كَفِّيْ بِقِرْنٍ أُنَازِلُهْ
لَإنْ لَمْ أَزُرْ خَوْلانَ فِيْ عُقْرِ دارِهَا   بِأَرْعَنَ رجّافٍ نزجي قنابله

وإذا كان ضابط الثأر قد جعل الجاهليّ يمتثل له وَوَلَّدَ في نفسه إحساساً باليأس من الحياة في حال عدم إدراكه لثأره ، ودفعه احساسه هذا الى ترك لهو الحياة ولعبها حتى ينال ثأره ، فإنَّ عودته الى الحياة وممارسة متعها كانت مشروطة بإدراكه ثأره ، وقد عبَّر عن ذلك مالك بن عمرو العامليّ حين قال : (٤٠)

لاأسْمَعُ اللَّهْوَ في الحَدِيْثِ وَلا   يَنْفَعُنِي في الْفِراشِ مُضْطَجَعُ
حَلَلْتُهُ صَارِمَ الحَدِيْدَةِ   كَالْمُلْحَةِ فِيْه سَفَاسِقٌ لُمَعُ
بني قُمَيْرٍ قتلتُ سيِّدكمْ   فاليوم لادِمْنَةٌ ولا تَبَعُ

وكانت الخمرة كذلك منَ أهمَّ مُتَع الحياة الى قلب الجاهليِّ وقد حرَّمهاعلى نفسه حتى يدرك ثأره ، وإذا كانت الخمرة جزءاً من كرم الجاهليّ وفتوته فإنَّ تركها عنده أمر شديد الوقع على نفسه يستحق السعي والمجاهدة بالنفس من أجل العودة الى معاقرتها ، ولاسبيل

اليها إلّا بإدراك الثأر ، ونيل التبل ، وقد وصف تأبَّطَ شرّاً هذه المجاهدة من أجل نيل ثأره حتى أحلَّت له الخمرة ، إذ قال : (٤١)

صَلِيَتْ مِنِّيْ هُذَيْلٌ بِخِرْقٍ   لايَمَلُّ الشَّرَّ حتَّى يَمَلُّوا
يُنْهِلُ الصَّعْدَةَ حَتَّى إذا ما   نَهِلَتْ كَانَ لها مِنْهُ عَلُّ
حَلَّتِ الخَمْرُ وكَانَتْ حَرَاماً   وَبِلَأْيِ مَا ألمَّتْ تَحِلُ

إنَّ شرط معاقرة الخمرة بنيل الثأر أحاطه الجاهليُّ بقدسية حين نذر على نفسه ألّا يشرب الخمرة حتى يدرك ثأره ، فإذا ما أدرك ثأره حلَّت الخمرة له ، وطاب شربها ، وهذا الأمر كان من وسائل الجاهليّ في تحفيز الموتور على الإسراع في أخذ الثأر ، وكان معاقرة الخمرة بعد الثأر مبعث فخره ؛ لأنه استطاع معاودة الحياة بفاعلية ايجابية ، دَلَّلَ من خلالها على توافقه مع قيم المجتمع في مسألة الثأر ، وقد عبّر الفند الزِّماني عن مثل هذا الفخر حين افتخر بشربه الخمرة بعد أخذه ثأره ، قائلاً : (٤٢)

كَمْ قَتَلْنا بِخَزَازَى مِنْكُمُ   وَأَسَرْنا بَعْدَما حُلَّ الحِرَارُ
...   .
حَرُمَتْ كَأسٌ عَلَى نَاذِرِها   فَلَقَدْ طابَتْ بِأَنْ حَلَّ العُقَارُ
وَمُلُوكاً مِنْكُمُ رُحْنَا بِهِمْ   وَعَلَى كُلٍّ مِن الذُّلِّ عِذَارُ

إنَّ (الثأر يعيد للجاهلي توازنه النفسي بعد الخسارة الفادحة التي ألمّت به ويقومه عند سقوط حامي العشيرة ومنجدها في الضّنك والمسغبة ، وفي الهول والحرب) (٤٣) ؛ ولذلك شعر امرؤ القيس بالراحة النفسية ، بعد أنْ أزال عن كاهله عبئاً ثقيلاً ، ألا وهو الثأر من قتلة أبيه – بني أسد – ، هذا الثأر الذي شغله عن شرب الخمرة ، فَحُقَّ له يومئذ أنْ يفخر بشرب الخمرة من دون إحساس بالذنب والإثم من الله وهو بهذا الربط يشير الى قدسية الثأر ، كما أنَّ الإشارة الى مسألة التحريم والتحليل تنبه على تلك القدسية من طرف خَفيٍّ ؛ ولذا اعتقد بعض الدارسين أنَّ (الثأر من العقائد الدينية عند العرب ؛ لإنَّه يتصل

بالتحريم ، والتحريم لا يكون إلا من قبل الآلهة ، وأبيات امرىء القيس ... تدلّ صراحة على أنّ الثأر يرضي الإله) (٤٤) بقوله : (٤٥)

حَلَّتْ لِيَ الخَمْرُ وَكُنْتُ امْرَءاً عَنْ شُرْبِهَا في شُغُلٍ شَاغِلِ
فاليَومَ أُسْقَى غَيْرَ مُسْتَحْقِبٍ إثْماً مِن اللهِ وَلا وَاغِلِ

وإذا أخفق الجاهليُّ أو تلكَّأ في طلب الثأر فهو يؤخر أمر عودته الى الحياة ، ويعرّض نفسه وكرامته للهوان ، ويهجى بالعجز عن شرب خمرة الانتصار التي تعقب إدراك الثأر ؛ ليشرب مكانها شراب الإحتقار والذّل – البول – ، وما ذاك إلّا لأنَّ الثأر قيمة لايتنازل عنها الجاهليّ ، فهذه نُهَيْشَةُ بِنْتُ الجَرَّاح البَهْرَانِّي تهجو قضاعة وتحثها للثأر من الهُذَيْل بأقبح هجاء مخايرة وأشدَّه ، قائلة : (٤٦)

إذا مَا مَعْشَرٌ شَرِبُوا مُداماً فَلا شَرِبَتْ قُضَاعَةُ غَيْرَ بَوْلِ
فَإمَّا أَنْ تَقُودُوا الخَيْلَ شُعْثَاً وَإمَّا أَنْ تَدِيْنُوا لِلْهُذَيْلِ
وَتَتَّخِذُوه كالنُّعْمَانِ رَبّاً وَتُعْطُوه خَرَاجَ بَنِي الدُّمَيْلِ

إنَّ معاقرة الموتور الخمرة شارة نصر على الواتر، ودلالة على تحققه ، وإعلان على المَلإِ عن انجاز مهمة الثأر على وفق ضوابط المجتمع ، إذ لم يعد الموتور يذعن أو يخضع لأيِّ ضغط إجتماعيٍّ ناقد أو منتقصٍ لرجولته وأنفته وكرامته ، وإعلان كذلك عن انتهاء حالة الصراع من جانب الموتور .

ويمكن أنْ يعدّ هذا التحريم نوعاً من الإغتراب النفسي والإجتماعي ، الذي هو (صفة لعدم الرضا أو القناعة بالحالة التي يعيشها الإنسان) (٤٧) ، وقد أختاره الموتور طواعية قبل أنْ يصبح ضابطاً فيما بعد ، ويتمثل هذا النوع من الإغتراب بإبتعاد الجاهلي عن بعض القيم التي يؤمن بها المجتمع مثل علاقة الرجل بالمرأة ومعاقرته للخمرة ، وقد يوصف هذا الابتعاد بأنّه نوع من العزلة عن القيم في هذا المضمار ، بيد أنّه يتواصل في الوقت نفسه مع قيم أخرى آمن بها المجتمع وهي قيمة الثأر ، وقد فسرت الدراسات

الفلسفية هذه الفلسفة القيمية بالقول : إنَّ (الفرد قد يكون معزولاً عن القيم السائدة في مجتمعه ، لكنّه قد يرتبط بأفكار وقيم أخرى تعطيه شعوراً بالتواصل ، وبأنّه ينتمي الى شيء ما) (٤٨) ،وقد اتفق (روسو) مع (هويز) على تعريف مثل هذا الإغتراب وتحديد أهدافه بالقول : (إنَّ الإغتراب هو عمل اختياري ، وأنَّ الأعمال الإختيارية إنَّما تستهدف صالح من يقوم بها ، و...إنَّ عملية التغريب لاتقوم لها قائمة حينما لاتخدم صالح مَنْ يقوم بها) (٤٩) ، وهذا الإغتراب عند الجاهليّ مؤقت لأنّ الإحساس به مرتبط بحالة ادراك الثأر وأول ما يحقق من مكاسب بعد نيل ثأره هو عودته الى الحياة ، حيث المرأة والخمرة.

أنواع الثأر :

١ . الثأر البَواء .
٢ . الثأر المُنِيْم .

١ . الثأر البَواء * :

لقد حددت القيم الإجتماعية ضوابط الثأر التي تناسب مكانة القتيل اجتماعيّاً ، ولاسيما إذا كان من السّادة والأشراف ، وهذا التحديد في الضوابط من أجل الثأر هو عملية ضبط إجتماعية تحدد طريقة الثأر وضوابطه وتأخذ في الحسبان أهمية القتيل ، فثأر السيّد والشريف لاينتهي إلّا إذا كان مَنْ يُقْتَل به بَواءً له ، من دون ذلك تستمر عملية طلب الثأر ويطول أمدها ، وهذا ما كان لايريده الموتور كما بينت صفحات البحث السابقة ؛ لذا اختصر الجاهليّ الطريق ، وقصّر المسافة حين عيَّن بواء قتيله ليثأر منه ، وتمدنا أشعار الجاهلية بالشواهد على ذلك ، فقد اشارت الى ذلك دَخْتَنُوْسُ بنت لقيط بن زرارة التميمي حين خاطبت بني عبس : بأنَّ ثأر بني تميم يكمن في قتل شُرَيْح بن الأحوص العامري قاتل لقيط ، قائلة : (٥٠)

فَمَا ثُأْرُهُ فِيْكُمْ وَلَكِنَّ ثَأَرَهُ شُرَيْحُ أَأَرْدَتْهُ الأَسِنَّةُ أَمْ هَوَى
فَإِنْ تُعْقِبِ الأيّامُ مِنْ عَامِرٍ يَكُنْ عَلَيْهِمْ حَرِيْقاً لا يُرَامُ إِذَا سَمَا
لِيَجْزِيَهُمْ بالْقَتْلِ قَتْلاً مُضَعَّفَاً وَمَا في دِمَاءِ الْحُمْسِ يَا مَالُ مِنْ بَوَا

ولعلَّ الجاهليّ كان واضحاً وصريحاً في مسألة الثأر في حالة معرفة القاتل ، ومعرفة كونه بواءً للمقتول ، فالقاتل هو مَنْ يجب قتله على وجه الخصوص ، وإن لم يثأر الموتور رجلاً كان أو قبيلة في مثل هذه الحالة حكم العرف الإجتماعي الضابط عليه بفقدان اسمه وهويته ، وتمثَّل هذا الحكم بهجائه وتعييره بذلك – وربَّما كانت المرأة الجاهلية أوضح من أخيها الرجل في هذا الأمر وأقدر منه، إذ (إنَّ استنهاض الرجولة للثأر أمر قد تجيده الأنوثة أكثر مما تجيده الذكورة ، وذلك نظراً لقابلية الرجل للإستفزاز والإستنفار على يد المرأة التي يجد فيها – كمقابل له– إحياءً وإيقاظاً لقدراته) (٥١) –. كما في قول بنت بجير بن عبدالله القشيريّة وهي ترثي أباها القتيل في يوم المروت وتحرض بني كعب بن ربيعة بن عامر ابن صعصعة على الأخذ بثأره : (٥٢)

فَمَا كَعْبٌ بِكَعْبٍ إِنْ أَقَامَتْ وَلَمْ تَثْأَرْ بِفَارِسِهَا الْقَتِيْلِ
وَذَحْلُهُمُ يُنَادِيْهِمْ مُقِيْماً لِدَى الكَدَّامِ طَلَّابِ الذُّحُولِ

ويبدو أنَّ الجاهليّ كان حريصاً على تلبية الدعوة إلى الثأر من القاتل أو مَنْ هو كفءٌ للقتيل امتثالاً لضابط الثأر الإجتماعي ، وقد بدا هذا الحرص والإمتثال واضحاً في تصويره عملية الثأر البواء ، من خلال رسم صورة ومكانة مَنْ قُتِلَ أو سَيُقْتَل ثأراً ؛ ليثبت للآخر أنَّه أدرك بثأره غير منقوص ، ولايحقُّ له لومه أو التعريض به إنْ عاد الى مزاولة أو ممارسة حياته بشكل طبيعيّ ، وقد أجاد دريد بن الصمة في التعبير عن ذلك حين فخربإدراكه ثأره من بني غطفان قتلة أخيه عبدالله ، حين قال : (٥٣)

قَتَلْنَا بِعَبْدِاللهِ خَيْرَ لِدَاته وَخَيْرَ شَبَابِ النَّاسِ لَوْ ضُمَّ أَجْمَعَا
ذُؤَابَ بْنَ أسْمَاءَ بْنِ زَيْد بْنِ قَارِبٍ مَنِيَّتُهُ أَجْرَى إِلَيْهَا وَأوضَعَا
فَتىً مِثْلُ مَتْنِ السَّيْفِ يَهْتَزُّ لِلْنَدَى كَعَالِيَةِ الرّمْحِ الرُّدَيِيِّ أَرْوَعَا

وقد تبرز فكرة الثأر البَواء في شعر المنصفات التي تتجاوز القاتل الى قومه ولاسيما حين يطلق الجاهليّ صفة الكريم على مَنْ يُقْتَل من قومه تعظيماً له، وليُعِمَّ بثأره القاتل وقومه حتى يكونوا جميعاً بواء له وهذا من باب الإذلال لهم ؛ وقد افتخر بمثل هذا الثأر العباس بن مرداس السُّلَميّ في منصفته السّينية ، قائلاً : (٥٤)

فَإنْ يَقْتلُوا مِنَّا كَرِيْماً فَإنّنَا أبَأْنَا بـهِ قَتْلاً يُذِّلُ المَعَاطِسَا
قَتَلْنَا بِهِ في مُلْتَقَى الْخَيْلِ خَمْسَةً وَقَاتِلَهُ زِدْنَا مَعَ اللّيْلِ سَادِسَا

وافتخر كذلك الطفيل الغنوي : (٥٥)

أَبَأْنَا بِقَتْلانا مِنَ الْقَوْمِ مِثْلَهُمْ ومَا لا يُعَدُّ مِنْ أَسِيْرٍ مُكَلَّبِ

وقد يجعل الجاهليّ الثأر البواء في أيامه ليوسع بَوَاءَهُ في القتلى والسَّبي والمال ... وليحقق عدالة ثأره وانتصافه فيه بشكلٍ كُلِّيٍ أو جماعيٍّ ، كما في قول مالك بن خالد الخناعي:(٥٦)

أَبَأْنَا بِيَوْمِ العَرْجِ يَوْمَاً بِمِثْلِهِ غَدَاةَ عُكَاظٍ بالْخَلِيْطِ الْمفرّقِ
فَقَتْلَى بِقَتْلاهُمْ وَسَبْياً بِسَبْيِهِمْ وَمَالاً بِمَالٍ عَاهِنٍ لَمْ يُفَرَّقِ

لقد كان الثأر البواء محطَّ جدل ونقاش بين الواتر والموتور بحكم ضوابط قيمية صارمة تجري خلالها موازنة دقيقة بين القتيل والقاتل لمعرفة تحقق التكافؤ بينهما أو لا ، وبموجب نتائج هذا يتقرر انتهاء الثأر من عدمه ، فإذا تحقق التكافؤ بينهما انتهى الصراع وأدى الثأر دوره في إخماد جذوة الغضب والرغبة في الإنتقام ، وإذا كان العكس عُدَّ الثأر منقوصاً،وبقيت الرغبة في الثأرتؤجج النفوس غيظاً وحنقاً، ولعلَّ قيس بن زهير العبسيّ خير مَنْ عكس هذه الجدليَّة حين رثى أخاه مالك بن زهير ، وأجرى موازنة بَيَّنَ فيها مكانة أخيه الذي قتلته فزارة ومكانة أخي حذيفة بن بدر الفزاريّ الذي قتله بأخيه ثأراً ، قال قيس بن زهير في هذه الموازنة مخاطباً حذيفة ابن بدر الفزاريّ : (٥٧)

أَخِيْ واللهِ خَيْرٌ مِنْ أخِيْكُمْ إذَا مَا لَمْ يَجِدْ بَطَلٌ مُقَامَا
أَخِيْ واللهِ خَيْرٌ مِنْ أخِيْكُمْ إذَا مَا لَمْ يَجِدْ رَاعٍ مَسَامَا
أَخِيْ واللهِ خَيْرٌ مِنْ أخِيْكُمْ إذا الْخَفِرَاتُ أبْدَيْنَ الْخِدَامِا
قَتَلْتُ بِهِ أَخَاكَ وَخَيْرَسَعْدٍ فَإنْ حَرْبَاً حُذَيْفُ وَإنْ سَلامَا

وكذلك فعل العباس بن مرداس في كلمة ردَّ فيها على عبدالله بن جذل الطعان ، حين قال : (٥٨)

أَلا أَبْلِغا عَنِّي ابْنَ جِذْلٍ وَرَهْطَهُ   فَكَيْفَ طَلَبْناكُمْ بِكُرْزٍ وَمالِكِ
غَداةَ فَجَعْنَاكُمْ بِحِصْنٍ وَبِابْنِهِ   وَبِابْنِ الْمُعَلَّى عاصِمٍ والْمُعارِكِ
ثَمانِيَةٌ مِنْهُمْ ثَأَرْنَاهُمُ بِهِ   جَمِيْعَاً وَمَا كَانُوا بَوَاءً بِمالِكِ

إنَّ هذا الأمر يكشف عن (أنَّ المجتمع المحارب أو المتحارب – المجتمع الجاهلي – لايستطيع إلّا أنْ يؤسس ويستغل السّمات النفسية لنزعاته التناحرية ، وإلّا أنْ يحوّل هذه الخامات الكيانية الى تقاليد يطوّرها باستمرار لتظلَّ أرضية تتقوّم عليها حاجاته النزاعية والصدامية) (٥٩) ، وانطلاقاً من هذا التأسيس حاوَرَ عامرُ بنُ الطُّفيل زيدَ الخيل الطائي مذكّراً إيّاه بحلمه ، ومعاتباً إياه في جعله – أي جعل عامرَ بْنَ الطفيل – ثأرَهُ في امرئٍ قَتَلَهُ عامرٌ ، فقتيلُ عامرٍ كما يرى عامرٌ ليس من صنف الملوك ، وإنَّما هو شخص من السَّواد ، كما أنَّ قتلَ عامر بواء لطيِّء كُلِّها وليس لقتيل معين ، فطلب دم عامر مقابل دم المقتول معادلة ظالمة مجحفة بحق عامر ، بهذا التصور طرح عامر رؤيته الثأريَّة على وفق الضوابط الإجتماعية التي تحكم قيمة الثأر ، حين قال : (٦٠)

قُلْ لِزَيْدٍ قَدْ كُنْتَ تُؤْثَرُ بالْحِلْـ   ـمِ إِذَا سُفِّهَتْ حُلُوْمُ الرِّجَالِ
لَيْسَ هَذَا الْقَتِيْلُ مِنْ سَلَفِ الْحَيْـ   ـيِ كَلَاعٍ وَيَحْصُبٍ وَكُلالِ
أَوْ بَنِيْ آكِلِ الْمُرَارِ وَلا صِيْـ   ـدِ بَنِيْ جَفْنَةَ الْمُلُوْك الطَّوَالِ
وَابْنِ مَاءِ السَّمَاءِ قَدْ عَلِمَ النَّا   سُ وَلا خَيْرَ في مَقَالَةِ غَالِي
إِنَّ فِي قَتْلِ عَامِرِ بْنِ طُفَيْلٍ   لَبَـواءٌ لِطَيِّء الأَجْبَالِ

٢ . الثأر المُنِيْم :

هو الثأر البواء الذي (يريح أهل القتيل ولهذا يسمونه الثأر المنيم) (٦١) ، وهذا يعني أنَّ للثأر أشكالاً ولعل أوفاها لصاحبها وأكثرها إسكاتاً لصوت اللائم المُليم هو الثأر المُنِيْم الذي يدركه صاحبه فيهدأ ، إذ الثأر ليس القتل للآخر فحسب ، بل هو قتل البواء للآخر المكافئ النِّد للمقتول ، وقتل ما دون ذلك لايعدّ ثأراً مريحاً للموتور يُمَكِّنه من ممارسة الحياة ، لذلك يصحّ أنْ نتصور أنَّ الثأر المُنِيْم هو ذاته الثأر البواء ، ولكن مع

القيام بحسم كلّ إفرازات الثأرالميدانية الثانوية الملازمة لعملية الثأر التي قد يكشف عن بعضها الجاهليّ بشكل واضح ، وهذا الأمر هو ما يحقق السلام النهائي الذي يُشْعِرُ الموتور بالإستقرار والإطمئنان ، ويعيده الى الحياة بعد توقف ؛ ومن هنا كان سرّ تسمية الثأر البواء بالثأر المنيم عند الجاهليّ ، كما في قول الأبَحِّ بن مُرَّة الهُذليّ : (٦٢)

لَعَمْرُكَ سَارِيَ بْنَ أبي زُنَيْمْ لَأَنْتَ بِعَرْعَرَ الثَّأْرُ المُنِيْمُ
عَلَيْكَ بَنِي مُعَاوِيَةَ بْنِ صَخْرٍ فَأنْتَ بِعَرْعَرٍ وَهُمُ بِضِيْمِ

وإذا كان أخذ الثأر عرفاً إجتماعياً يمثّلُ ضابطاً إجتماعياً يعيد الموتور الى الحياة بعد توقف ؛ فلقد مارست ضوابط الثأر الإجتماعية عملية توزيع مهام الجاهلي الثأرية ، ورسمت له صورة السلوك الواجب اتباعه ؛ حتى لايبقى في حيرة من أمره ؛ فيتخذ ما يلزم اتخاذه في مسألة الثأر ، ومنه الثأر المنيم الذي يضع حدّاً لعملية استمرار طلب الثأر ؛ لأنّه يعالج مسألة عدم بواء القاتل بالمقتول من خلال الثأر من القاتل وتجاوزه الى مَنْ هو بواء له ممن أسهم في قتله بشكل أو بآخر أو يمتّ اليه بصلة انتماء نسبيّاً ، وقد أوضح أوس بن بجير القشيري ضبطيّة الثأر هذه حين رثى أباه الذي قتل يوم المَرّوت ، وحدد مَنْ يجب قتله ، ومَنْ هو الثأر المُنِيْم ، قائلاً : (٦٣)

لَعَمْرُكَ مَا أَصَابَ بَنُو رِيَاحٍ بِمَا احْتَمَلُوْا وَغَيْرُهُمُ السَّقِيْمُ
بِقَتْلِهِمُ امْرَءاً قَدْ أَنْزَلَتْهُ بَنُو عَمْرو وَأَوْهَطَهُ الْكُلُوْمُ
فَإِنْ كَانَتْ رِيَاحاً فَاقْتُلُوهَا وَآلُ نُخَيْلَةَ الثَّأْرُ الْمُنِيْمُ
فَإِنَّهُمُ عَلَى الْمَرُّوتِ قَوْمٌ ثَوَى بِرِمَاحِهِمْ مَيْتٌ كَرِيْمُ

ومن هنا ندرك سرَّ الإصرار على الاستمرار في طلب الثأر في حالة عدم إدراك الثأر المنيم ؛ الذي يكمن في عدم تحقيق الموتور هدفه في إنزال عقوبة عادلة بحقّ القاتل ومَنْ يقف معه من أبناء قبيلته أو غيرهم ، يضاف الى هذا إحساس الموتور بقدرته على الثأر ، وعلى الإستمرار في طلبه ، وما يعزز هذا الإحساس الضغط الإجتماعيّ الذي يقرعه لوماً دون ملل أو كلل ، وبهذا الفهم المستمد من ضابط الثأر الإجتماعيّ شكا عامر بن الطفيل عدم إدراكه الثأر المنيم من قتلة أخيه عقيل مثلما شكا كثرة لومه على ذلك ؛ لذا

ظلت روحه الثائرة تئنُّ تحت وطأة إنكسار نفسيٍّ ، ورغبة جامحة بالثأر ، لاسيما أنه يمتلك القدرة على دَرَكِ ثأره ، بقوله : (٦٤)

ثَارَتْ غَدَاةَ فَارَقَنِيْ عَقِيْلُ   وَلَمْ يُدْرَكْ بِهِ الثَّأْرُ الْمُنِيْمُ
وَتَحْتِي الْوَحْفُ وَالْجِلْوَاظُ سَيْفِي   فَكَيْفَ يَمَلُّ مِنْ لَوْمِي الْمُلِيْمُ

ولهذا نجد الموتور كذلك لايسلو قتيله ، ويستنكر أمر سلوّه ، فكيف يُسْلَى القتيل ، ولم يقتل به الثأر المنيم ، وفي هذا قال عبدالرحمن بن زيد العذريّ : (٦٥)

يُؤَسَّى عَنْ زِيَادَةَ كُلّ مَوْلىً   خَلِيٌّ مَا تَأَوَّبَهُ الْهُمُوْمُ
وَكَيْفَ تَجَلُّدُ الأَقْوَامِ عَنْهُ   وَلَمْ يُقْتَلْ بِهِ الثَّأْرُ الْمُنِيْمُ

الخاتمة :

ومن خلال رحلتنا في شعر الثأر تبين أنَّ الجاهليَّ قد آمن أنّ حياته موزعة بين أمرين بين قاتل تارة ومقتول تارة أخرى ، وقد أبدى رضاه عن هذا التوزيع ؛ حين عدَّ قتل الثأر مفخرة ، وهو في فخره ينصف نفسه وعدوّه ، على الرّغم من إحساسه بمرارة الفعل؛لأنَّه رأى في درك الثأر استعادة لكرامة قد أُهْدِرَتْ ، واسترداداً لمكانة إجتماعية قد وُضِعَتْ ، حسب ضوابط المجتمع العرفية في قيمة الثأر .

وبناءً على هذا الفهم القيميّ الإجتماعيّ لعملية الثأر سلط الجاهليّ على نفسه سلوكاً اجتماعيّاً يسرّع من عملية أخذ الثأر تمثَّل في تحريمه المرأة والخمر على نفسه حتّى يدرك بثأره، وبهذا التحريم يكون قد أوقف حياته على صعيد الأسرة والمجتمع .

بيد أنَّ ثأره هو الآخر كان محكوماً بضوابط إجتماعية صارمة أيضاً تفرض عليه أَنْ يكون هذا الثأر ثأراً بواءً يتكافأ فيه القاتل والقتيل حسب تقييم المجتمع لمكانتهما من جميع النواحي ، وأَنْ يكون هذا الثأر كذلك ثأراً مُنِيْماً يمنح الموتور شعوراً بالراحة والرضا ، لكونه ثأراً كاملاً غير منقوص إجتماعيّاً

الهوامش :

(١) سيكلوجية المرأة العاملة / ١٣١

(٢) ديوان دريد بن الصمة الجشميّ / ٦٤ – ٦٥ .

(٣) شعر محمّد بن حُمْران بن أبي حُمْران الجُعْفي / ٤٨٩ .(ضمن : الشعراء الجاهليون الأوائل) .الثأر والثؤرة : الطلب بالدّم . وقيل : الدَّم نفسه .الذّحل : الثأر . العَيْهَب : الضعيف عن طلب الثأر .

(٤) الرأسمالية والنظرية الإجتماعية الحديثة – تحليل لكتابات ماركس ودوركهايم وماكس فيبر / ١٣٧) .

(٥) ديوان الخنساء / ٧٣ – ٧٥ .

(٦) شعر أبي جُنْدَب / ٨٥–٨٦ (ضمن : ديوان الهذليين / الجزء الثالث) ، وينظر الخبر في : كتاب الأغاني ٢١ / ١٦١. يقال : عُذْتُ بِحَقْوِكَ ، يريد كانا في موضع المَعَاذ ، أي كانا منّي مكان مَنْ أَجَرْتُ. وهذا مثل يضرب في الرّجل يعوذ بالرجل ويتحرم به .

(٧) أمثال العرب / ١١٠– ١١١، وينظر الفاخر : ٦٢– ٦٣ وخزانة الأدب ٧/ ٢٩٦.(يريد أنّه افتضح بقتلهم ، وأنّه إنْ لم يثأر بهم فهو كالمقنع رأسه واسته مكشوفة)

(٨) ديوان عامر بن الطفيل / ١٨٤ .السليم : الملدوغ . وقيل له تفاؤلاً بالسلامة . وزبيد وأرحب : حيّان من اليمن . المتأوّب : الذي يأتيك لطلب ثأر عندك .

(٩) المصدر نفسه / ١٦٢ – ١٦٣ . المرورة : اشار محققا الديوان الى عدّة روايات لهذه اللفظة دون بيان معناها ؛ لكنهما ذكرا أنّ رواية : شرح شواهد المغني هي : المروءات ، ولعلَّ هذه الرواية هي أقرب الى المعنى العام للأبيات . وقتيل مرّة : حنظلة بن الطفيل اخوه . وفرْع : شريف .

(١٠) الإنسان والزمان في الشعر الجاهلي / ٩٥ .

(١١) دراسات في الشعر الجاهلي / ٥٦ .

(١٢) ديوان الخنساء / ٣٠٠ – ٣٠٢ . الإخفار : الخَفَرُ والخُفْرُ والخِفَارَة : الإجارة . وتحفزوا : الحَفْزُ : الطعن . مُكْتَنِع : دانٍ . حصين وابن سيّار : يقال هما : حُصَيْن بن الحُمَام المُرّيّ ومنظور بن سَيّار الفزاريّ ، أو هما : حُصَين بن ضِمْضِم ومنصور بن سيّار المرّيان . ينظر : ديوان الخنساء / ٣٠٢ .

(١٣) مقالات في الشعر الجاهلي / ٣٣٧ .

(١٤) المصدر نفسه والصفحة نفسها .

(١٥) ديوان الحماسة – للبحتري – / ٢٤ – ٢٥ . الخلوق : ضرب من الطيب .

(١٦) المصدر نفسه / ٤٠ .

(١٧) المصدر نفسه / ٢٤.

(١٨) جدلية القيم في الشعر الجاهلي / ٢٧ .

(١٩) ديوان الحماسة – للبحتري – / ٤٢ . رجل أنُوف : شديد الأنَفَة ، والجمع : أُنُف .

(٢٠) الضبط الإجتماعي /٣٢ ، وينظر : البناء الإجتماعي / مدخل لدراسة المجتمع ٢ / ٤٢٣ ، ٤٣٩، و سيكلوجية المرأة العاملة / ١١١ .

(٢١) سيكلوجية المرأة العاملة / ١١١ .

(٢٢) شرح ديوان عنترة / ٥٢ .

(٢٣) ديوان الحماسة – للبحتري – / ٢٨.

(٢٤) ديوان مَيَّة بِنْتِ ضِرار الضَّبيَّة / ٣٠٠(ضمن : شواعر الجاهلية / دراسة نقدية) .

(٢٥) كتاب الوحشيات / ٩٩ .

(٢٦) سيكلوجية المرأة العاملة /١١١.

(٢٧) كتاب الأغاني ٥ /٤٠ .

(٢٨) ديوان جليلة بِنْت مُرَّة الشَّيْبَانيَّة / ٢٢٩ – ٢٣٠ (ضمن : شواعر الجاهلية / دراسة نقدية) .

(٢٩) المصدر نفسه / ٢٣١ – ٢٣٢ . البَجَل : أرادت به البَجِيْل ، وأمرٌ بجيلٌ : مُنْكَرٌ عظيم .

(٣٠) أبحاث في علم الإجتماع /٨٣ .

(٣١) قراءة ثانية لشعرنا القديم / ٨٨

(٣٢) ينظر : ديوان الحماسة – للبحتري – / ٢٨.

(٣٣) ديوان العباس بن مرداس السُّلَميّ / ١١٣ . تَغَبّبَ : أي جاء يوماً وترك يوماً ، فإنْ أردت أنّك دفعت عنهم ، قلت : غَبّبَ عنهم بالتشديد . والغبُّ : الزيادة قي كلِّ اسبوع .

(٣٤) دراسات في الشعر الجاهلي / ٥٢ .

(٣٥) مقدمة للشعر العربي / ١٧.

(٣٦) ديوان الحماسة – للبحتري – / ٤٨.

(٣٧) ديوان تأبَّطَ شَرَّاً / ١٨ . الشور : العسل . المزج : نوع من العسل . الصّاب : شجر مرّ . وقد يكون تحريم الجاهلي للمرأة في حالة الثأر جماعياً على مستوى القبيلة ، كما في يوم الفيفاء الذي كان لِسُلَيْم على كنانة (قال أبو عبيدة : ثُمَّ إنَّ بني الشَّريد حرَّمُوا على أنفسهم النساء والدّهن ، أو يدركوا ثأرهم من كنانة ...)ينظر : نهاية الأرب في فنون الأدب ١٥/ ٣٧٤ – ٣٧٥ .

(٣٨) شعر الربيع بن زياد / ٣٢٢ (ضمن : دراسات في الأدب الجاهلي – الجزء الثاني) . الحِجَا : العقل . والمعنى : ليس لأصحاب الرأي والعقل سوى أنْ يشدّوا أحزمة خيولهم متأهبين للحرب .

(٣٩) ديوان العباس بن مرداس السُّلَميّ / ١٣٧ .

(٤٠) ديوان الحماسة – للبحتري – / ٤٨.المُلْحَة : المهابة ، البياض يخالطه سواد . سفسقة السيف : فرنده .

(٤١) ديوان تأبَّطَ شَرَّاً / ٦٥ . صليت : قاست . الخِرق : الشجاع الكريم .

(٤٢) شعر الفِنْد الزِّمَّانيّ / ١٦ (ضمن : عشرة شعراء مقلّون) .

(٤٣) دراسات في الشعر الجاهلي / ٥٦ – ٥٧.

(٤٤) المصدر نفسه /٥٥

(٤٥) ديوان امرئ القيس / ١٢٢ .

(٤٦) ديوان نُهَيْشَةُ بِنْتُ الجَرَّاح البَهْرَانِّي / ٣٠٣ – ٣٠٤ . (ضمن : شواعر الجاهلية / دراسة نقدية) .

(٤٧) الإغتراب في الفن / ١٥٦ .

(٤٨) الإغتراب عند إيرك فروم /١٢٩.

(٤٩) الإغتراب / ٧٣ .

* الثأر البواء : أَنْ يُقْتَلَ بالرَّجُلِ قاتِلُه .

(٥٠) ديوان دَخْتَنُوْسُ بنت لقيط / ٢٤٩ – ٢٥٠ . (ضمن : شواعر الجاهلية / دراسة نقدية) . شريح : هو شريح بن الأحوص العامري قاتل لقيط بن زرارة التميمي . وعامر : بنو عامر بن صعصعة الذين غزاهم لقيط بن زرارة التميمي للأخذ بثأر أخيه معبد الذي مات عندهم أسيراً . الحُمْس : الشجعان .

(٥١) مقالات في الشعر الجاهلي / ٣٣٣.

(٥٢) ديوان بنت بجير القشيريّ /٢٢٨.(ضمن : شواعر الجاهلية / دراسة نقدية) . الكَدَّام : هو يزيد بن أزهر بن عبدالله المازني ، وكان أسر بجيراً . (أشعار النساء /٩٣ – للمرزباني) .

(٥٣) ديوان دريد بن الصمة الجشميّ / ٩١ .

(٥٤) ديوان العباس بن مرداس السُّلَميّ / ٧١ .

(٥٥) ديوان الطفيل الغنوي / ٣٢ .

(٥٦) شعر مالك بن خالد الخناعي / ٨ . (ضمن : ديوان الهذليين/قسم ٣) .

(٥٧) شعر قيس بن زهير /٤٠ . ينظر : يوم فزارة لكنانة على سُليم ، ويوم الفيفاء لسُليم على كنانة ، في : (نهاية الأرب في فنون الأدب ١٥/ ٣٧٤- ٣٧٥) .

(٥٨) ديوان العباس بن مرداس السُّلَميّ / ١٣٠ .

(٥٩) مقالات في الشعر الجاهلي / ٣٣٣.

(٦٠) ديوان عامر بن الطفيل / ٢٠٧ .

(٦١) الرثاء في الشعر الجاهلي وصدر الإسلام /٣٦ .

(٦٢) شعرالأبحّ بن مُرَّة / ٦٦٧ (ضمن : كتاب شرح أشعار الهذليين – المجلد الثاني) .

(٦٣) شعر أوس بن بجير بن عبدالله القشيري/ ٨١ .(ضمن أشعار العامريين الجاهليين).

(٦٤) ديوان عامر بن الطفيل / ٢١٢ .

(٦٥) ديوان الحماسة – للبحتري / ٢٤ . ورد في البيت الثاني (... النَّارُ المنيمُ) والصواب ما أثبتناه .

المصادر المراجع

(١) . أبحاث في علم الإجتماع (نظريات ونقد) – الدكتور طلال عبدالمعطي مصطفى – منشورات دارهادي للطباعة والنشر والتوزيع – الطبعة الأولى – ١٤٢٣هـ –٢٠٠٢م.

(٢) أشعار النساء – تأليف أبي عبيدالله محمد بن عمران المرزباني ت ٣٨٤هـ) حققه وقدّم له : الدكتور سامي مكي العاني – و: هلال ناجي – دار الرسالة للطباعة – بغداد – ١٣٩٦هـ – ١٩٧٦م .

(٣) الإغتراب تأليف ريتشارد شاخت – ترجمة كامل يوسف حسين – المؤسسة العربية للدراسات والنشر – الطبعة الأولى – بيروت – ١٩٨٠م .

(٤) الإغتراب عند إيرك فروم – د . حسن محمد حسن حماد – المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع – الطبعة الأولى – بيروت – ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م .

(٥) الإغتراب في الفن – دراسة في الفكر الجمالي العربي المعاصر – تأليف الدكتور عبدالكريم هلال خالد – منشورات جامعة قار يونس – بنغازي – الطبعة الأولى – ١٩٩٨ .

(٦) أمثال العرب – تأليف المفضّل بن محمد الضّبي – قدّم له وعلق عليه الدكتور إحسان عباس – دار الرائد العربي – الطبعة الثانية – ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م .

(٧) الإنسان والزمان في الشعر الجاهلي – دكتورحسني عبدالجليل يوسف – مكتبة النهضة المصرية للطباعة والنشر – القاهرة – تاريخ المقدمة ١٩٨٨.

(٨) البناء الإجتماعي / مدخل لدراسة المجتمع – الجزء الثاني – الدكتور أحمد أبو زيد – الناشر : المكتب الجامعي الحديث – الإسكندرية .

(٩) جدلية القيم في الشعر الجاهلي – رؤية نقدية معاصرة – دراسة – الدكتور بو جمعة بو بعيو – منشورات اتحاد الكتاب العرب – دمشق – ٢٠٠١ .

(١٠) خزانة الأدب ولب لباب لسن العرب – تأليف عبدالقادر بن عمر البغدادي ١٠٣٠– ١٠٩٣– تحقيق وشرح عبدالسلام محمد هارون – مطبعة المدني – الطبعة الثانية – القاهرة – ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨م.

(١١) دراسات في الشعر الجاهلي – تأليف الدكتور أنور أبو سويلم – دار الجيل – بيروت – دار عمّار – عمان – الطبعة الأولى – ١٤٠٨هـ – ١٩٨٧م .

(١٢) ديوان امرئ القيس – تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم – مطابع دار المعارف – الطبعة الرابعة – ١٩٨٤.

(١٣) ديوان بنت بجير القشيريّ – ضمن : شواعر الجاهلية / دراسة نقدية – دار الفكر– بيروت –لبنان – دار الفكر دمشق – سورية – الطبعة الأولى – ١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢م . الكَدَّام : هو يزيد بن أزهر بن عبدالله المازني ، وكان أسر بجيراً .

(١٤) ديوان تأبَّطَ شَرَّاً – اعداد وتقديم طلال حرب – دار صادر – الطبعة الأولى – بيروت – ١٩٩٦.

(١٥) ديوان جليلة بِنْت مُرَّة الشَّيْبَانيَّة – ضمن : شواعر الجاهلية / دراسة نقدية نقدية – دار الفكر– بيروت –لبنان – دار الفكر دمشق – سورية – الطبعة الأولى – ١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢م . .

(١٦) ديوان الحماسة – لأبي عبادة البحتري – وضع حواشيه محمود رضوان ديّوب – دار الكتب العلمية الطبعة الأولى – بيروت – لبنان ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م .

(١٧) ديوان الخنساء – تماضر بنت عمرو بن الحارث بن عمرو الشريد السُّلمية (ت٢٤هـ) – شرحه : ثعلب ابو العباس ، أحمد بن يحيى بن سيّار الشيباني النحوي(ت ٢٩١هـ)– حققه الدكتور أنور أبو سويلم – دار عمّار – نشر بدعم من جامعة مؤتة .

(١٨) ديوان دَخْنَتُوْسُ بنت لقيط – ضمن : شواعر الجاهلية / نقدية – دار الفكر– بيروت –لبنان – دار الفكر دمشق – سورية – الطبعة الأولى – ١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢م .

(١٩) ديوان دريد بن الصمة الجشمي – جمع تحقيق وشرح محمد خير البقاعي – دار قتيبة – دمشق – ١٩٨١م .

(٢٠) ديوان الطفيل الغنوي –تحقيق محمد عبدالقادر أحمد – دار الكتاب الجديد – الطبعة الأولى – ١٩٦٨ . .

(٢١) ديوان عامر بن الطفيل العامري – بشرح أبي بكرمحمد بن القاسم الأنباري – قراءة علي أبي العباس ثعلب – تحقيق الدكتور محمود عبدالله الجادر – الدكتور عبدالرزاق خليفة محمود الدليمي – مطابع دار الشؤون الثقافية العامة – الطبعة الأولى – بغداد – ٢٠٠١.

(٢٢) ديوان العباس بن مرداس السُّلَميّ – جمعه وحققه الدكتور يحيى الجبوري – دار الجمهورية – بغداد ١٩٦٨.

(٢٣) ديوان مَيَّة بِنْتِ ضِرار الضَّبيَّة ضمن : شواعر الجاهلية / دراسة نقدية – نقدية – دار الفكر– بيروت –لبنان – دار الفكر دمشق – سورية – الطبعة الأولى – ١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢م .

(٢٤) ديوان نُهَيْشَةُ بِنْتُ الجَرَّاح البَهْرانِّي – ضمن : شواعر الجاهلية / دراسة نقدية . نقدية – دار الفكر– بيروت – لبنان – دار الفكر دمشق – سورية – الطبعة الأولى – ١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢م .

(٢٥) الرأسمالية والنظرية الإجتماعية الحديثة – تحليل لكتابات ماركس ودوركهايم وماكس فيبر– انطوني غيدنز – ترجمة : فاضل جتكر– دار الكتاب العربي – بيروت – لبنان ٢٠٠٩ .

(٢٦) الرثاء في الشعر الجاهلي وصدر الإسلام – بشرى محمد علي الخطيب – مطبعة الإدارة المحلية – بغداد – ١٩٧٧ .

(٢٧) سيكلوجية المرأة العاملة – دكتورة كاميليا ابراهيم عبدالفتاح – دار النهضة العربية للطباعة والنشر – بيروت لبنان – ١٤٠٤هـ – ١٩٨٤م .

(٢٨) شرح ديوان عنترة – للخطيب التبريزي –قدم له ووضع هوامشه وفهارسه : مجيد طرّاد – دار الكتاب العربي –الطبعة الرابعة – بيروت –١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢م

(٢٩) شعر أوس بن بجير بن عبدالله القشيري – ضمن : أشعار العامريين الجاهليين – جمعها ووثقها وقدم لها الدكتور عبدالكريم ابراهيم يعقوب – دار الحوار – الطبعة الأولى – سورية – اللاذقية – ١٩٨٢.

(٣٠) شعرالأبحّ بن مُرَّة – ضمن : كتاب شرح أشعار الهذليين – المجلد الثاني – صنعة أبي سعيد الحسن بن الحسين السّكري – مكتبة دار التراث – – القاهرة .

(٣١) شعر أبي جُنْدَب – ضمن : ديوان الهذليين / الجزء الثالث – نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب – الناشر: الدار القومية للطباعة والنشر – القاهرة –١٣٨٥هـ– ١٩٦٥م .

(٣٢) شعر الربيع بن زياد العبسي – ضمن : دراسات في الأدب الجاهلي – الجزء الثاني – تأليف الدكتور عادل جاسم البياتي – نشر وطبع دار النشر المغربية – الدار البيضاء – ١٩٨٦ .

(٣٣) شعر الفِنْد الزِّمَّانيّ – ضمن : عشرة شعراء مقلّون – صنعة الأستاذ الدكتور حاتم صالح الضامن – مطابع دار الحكمة للطباعة والنشر– الموصل – ١٩٩١ .

(٣٤) شعر قيس بن زهير- عادل جاسم البياتي – مطبعة الآداب في النجف الأشرف – تاريخ المقدمة ١٩٧٢ . .

(٣٥) شعر مالك بن خالد الخناعي – ضمن : ديوان الهذليين/ الجزء الثالث – نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب – الناشر : الدار القومية للطباعة والنشر – القاهرة –١٣٨٥هـ – ١٩٦٥م .

(٣٦) شعر محمّد بن حُمْران بن أبي حُمْران الجُعْفي – ضمن : الشعراء الجاهليون الأوائل – الدكتور عادل الفريحات – دار المشرق – طبعة ثانية – بيروت – ٢٠٠٨ .

(٣٧) الضبط الإجتماعي – الأستاذ الدكتور معن خليل العمر – دار الشروق للنشر والتوزيع – الطبعة الأولى – عمان – الأردن –٢٠٠٦م .

(٣٨)الفاخر – لأبي طالب المفضّل بن سلمة بن عاصم – تحقيق : عبدالعليم الطحاوي – مراجعة : محمد علي النجار – الجمهورية العربية المتحدة – وزارة الثقافة والإرشاد القومي – ١٣٨٠هـ – ١٩٦٠م .

(٣٩) قراءة ثانية لشعرنا القديم – الدكتور مصطفى ناصف – دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع – بيروت – لبنان(د .ت) .

(٤٠) كتاب شرح أشعار الهذليين – صنعة أبي سعيد الحسن بن الحسين السّكري – مكتبة دار التراث – – القاهرة .

(٤١) كتاب الأغاني – لأبي الفرج الأصفهاني – تحقيق الدكتور احسان عباس – الدكتور ابراهيم السّعافين – الأستاذ بكر عبّاس – دار صادر – الطبعة الثالثة –بيروت – ١٤٢٩هـ – ٢٠٠٨م .

(٤٢) كتاب الوحشيات – وهو الحماسة الصغرى لأبي تمام حبيب بن أوس الطائي – علق عليه وحققه : عبدالعزيز الميمني الراجكوتي – وزاد في حواشيه : محمود محمد شاكر – دار المعارف – القاهرة –١٩٦٣م.

(٤٣) مقالات في الشعر الجاهلي – يوسف اليوسف – دار الحقائق للطباعة والنشر والتوزيع – الطبعة الثالثة – بيروت – لبنان – ١٩٨٣ .

(٤٤) مقدمة للشعر العربي – أدونيس – دار الساقي – – بيروت – لبنان – ٢٠٠٩.

(٤٥) نهاية الأرب في فنون الأدب – تأليف شهاب الدين أحمد بن عبدالوهاب النويري (٦٧٧–٧٣٣هـ) – السفر الخامس عشر – نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب – مطابع كوستاتسو ماس وشركاه – المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطبع والنشر – القاهرة – ١٩٤٩ .

The Values in pre-Islamic poetry as Social Criterion

Prof. Dr. Tawfeek Ibrahim Sali
Arabic language D
College of Education ,University of kirkuk

Abstract

The study is aimed at revealing the values and their social criteria which were as keen as laws and mores in pre-Islamic era. These values expressed the history and the heritage of pre-Islamic era with the reference to its different social orders. These values used to direct the intentions and to treat different affairs of pre-Islamic man . It was believed that revenge is the only way to return this man's stolen rights back, to restore the insulted dignity and to keep the grandiose values that the pre-Islamic man used to defend.

The study also shows that revenge was a heavy a carriage on the pre-Islamic man because he must do it or he would be the victim of social and psychological implements i.e. he would never be able to marry a woman or drink wine or practice his manhood. The pre-Islamic man will live away from his relatives until taking his revenge. So, taking revenge was the only way to return pre-Islamic man back to his psychological and social respect.